من هو المتوحد باباجي؟

إن المنحدرات الصخرية في الهملايا الشمالية قرب بدري نارايان لا تزال مباركة بالوجود الحي لـ باباجي معلم لاهيري مهاسيا. فالمعلم المعتزل قد احتفظ بجسمه المادي على مدى قرون وربما آلاف السنين. باباجي الخالد هو أفاتار أي حلول الألوهية في جسم بشري. وقد شرح لي معلمي سري يوكتسوار هذه الحقيقة بقوله:

"إن حالة باباجي الروحية تفوق إدراك البشر. ونظرة الناس القاصرة لا يمكنها النفاذ إلى نجمه الفائق. والمرء يحاول عبثاً وصف سموه الروحي الذي يفوق تصور العقل وحدود الخيال."

لقد صنّفت كتب الأوبانيشاد بدقة متناهية كل مرحلة من مراحل التقدم الروحي. فالإنسان الكامل (سِدها) قد ارتقى من حالة التحرر أثناء الحياة (جيفنموكتا) إلى حالة السيطرة التامة على الموت (باراموكتا). وهذا الأخير قد تحرر كليا من عبودية الخداع الكوني ودوراته التجسدية. فالباراموكتا (المتحرر كلياً) نادرا جدا ما يعود إلى جسم بشري، ولكن إن أراد العودة فهو عندئذ تجسّد إلهي: وسيط رباني لبركات السماء على الأرض.

ولا يخضع التجسّد الإلهي (الأفاتار) لقواعد الاقتصاد الكوني. فجسمه النقي الذي يُرى كصورة نورانية قد تحرر من أي دَين للطبيعة. وقد لا تميّز النظرة العابرة شيئاً غير عادي في شكله، سوى أنه أحياناً لا يلقي ظلاً، ولا تترك قدماه أثراً على الأرض. وهذه هي إحدى العلامات الخارجية على التحرر الباطني من الظلام والعبودية للمادة. ومثل هذا الرباني – البشري هو وحده الذي يدرك الحق خلف نسبيات الحياة والموت. وقد أنشد عمر الخيام الذي كثيرا ما يُساء فهمه بشكل فاضح، وصفاً للإنسان المتحرر في إحدى رباعياته الخالدة (ترجمة إدوارد فيتزجيرالد ومحمود مسعود على التوالي):

"Ah, Moon of my Delight who know'st no wane,
The Moon of Heav'n is rising once again;
How oft hereafter rising shall she look
Through this same Garden after me-in vain!"

بدرَ أفراحي الذي يعصى المحاقا
قمرُ العلياءِ يبزغْ من جديدْ
آهِ كم من مرةٍ يصعدْ شروقا
باحثاً عني بمجهودٍ جهيدْ
عبثاً في هذه الروضة العريقة!

فـ ’’بدر الأفراح الذي يعصى المحاقا‘‘ هو الله نجم القطب السرمدي الذي لا يخضع لتقلبات الزمان أبدا. و"قمر العلياء الذي يبزغ من جديد" هو الكون الخارجي المكبّل بأغلال وقيود قانون التكرار الدوري. لقد حرر الحكيم الفارسي نفسه للأبد من العودة الإلزامية المتكررة إلى الأرض بفضل معرفته الذاتية.

’’آه كم من مرة يصعد شروقا، باحثا عني بمجهود جهيد – عبثاً...!‘‘ أجل، يا له من بحث خائب خاسر يبذله كونٌ دائم التجوال عن كيان روحي بحت (غير خاضع للمادة وقوانينها)؟

وقد عبّر السيد المسيح عن حريته بطريقة أخرى: قال أحد التلاميذ: "يا معلم، أتبعك أينما تذهب." فأجابه المسيح: "للثعالب أوكار ولطيور السماء أعشاش، وأما ابن الإنسان، فلا يجد أين يسند رأسه". بما يعني أنه لما كان المسيح حاضراً بروحه في كل مكان، فهل يمكن اقتفاؤه سوى بالروح الشاملة؟

وكان كريشنا وراما وبوذا وبتانجلي من بين التجسدات الإلهية التي ظهرت في الهند القديمة. وهناك مجموعة ضخمة من الأدب الشعري المدوّن بلغة التامِل حول أغاستيا التجسد الإلهي للهند الجنوبية، الذي صنع معجزات عديدة في القرون السابقة واللاحقة للسيد المسيح، والذي يقال بأنه ما زال يحتفظ بجسمه المادي حتى هذا اليوم.

ورسالة باباجي للهند تكمن في مساعدة المعلمين الكبار على القيام بما جاؤوا من أجله. ولهذا فهو جدير باللقب المقدس (مهافاتار) أي التجسد الإلهي الأسمى. وقد أكد باباجي بأنه كرّس في علم الكريا يوغا شنكارا المؤسس القديم للنظام النسكي. حدث ذلك [منذ أكثر من ألف عام في بنارس]. وعندما روى باباجي الحكاية للاهيري مهاسيا وسوامي كيبالانندا أعطى تفاصيلَ مدهشة تتعلق بلقائه مع الفيلسوف العظيم شنكارا القائل بوحدة الوجود.

وكذلك كرّس حكيم القرون الوسطى الأشهر **كبير**.

كان "كبير" أحد كبار قديسي القرن السادس عشر، وكان العديد من الهندوس والمسلمين من ضمن أتباعه. وعند انتقاله اختلف مريدوه على كيفية المراسيم الجنائزية التي ينبغي القيام بها، فقام المعلم منزعجا من نومه الأخير وأصدر تعليماته على هذا النحو: "لتدفن نصف رفاتي طبقاً للشعائر الاسلامية وليحرق نصفها الآخر بحسب المراسيم الهندوسية." ثم اختفى. وعندما رفع تلاميذه الكفن الذي كان يستر جسمه لم يجدوا سوى إكليل جميل من الزهور دفن المسلمون نصفه في (ماغهار) وما زالوا يقدسون مزاره حتى يوم الناس هذا، أما النصف الآخر فقد تم حرقه بموجب الطقوس الهندوسية في بنارس. وقد تم تشييد معبد (كبير شورا) فوق الموقع يستقطب أعدادا هائلة من الحجاج. وفي شبابه أتى اثنان من تلاميذ كبير وطلبا منه تعليمات دقيقة حول الطرق الصوفية، فأجابهم المعلم ببساطة:

"الطريق يوحي بالمسافة، فإن كان الله قريباً منكم دوماً، فما حاجتكم إلى الطريق؟
حقا أنه لمن المضحك أن أسمع عن سمكة عطشانة في الماء!"

وحسبما نعلم فإن لاهيري مهاسيا كان تلميذ باباجي الأول الذي أحيا في القرن التاسع عشر طريقة الكريا يوغا التي ظلت مفقودة لقرون عديدة.

... ويدرك باباجي جيدا التوجهات العصرية لا سيما تأثير المدنية الغربية وتعقيداتها. كما أنه يدرك أهمية نشر اليوغا المحررة في الشرق والغرب على السواء.

ولا يدهشنا عدم وجود أية إشارة تاريخية إلى باباجي. فالمرشد الأعظم لم يظهر علنا في أي عصر، وأضواء الدعاية والإعلان البراقة والمشوهة للحقائق لا مكان لها في خططه البعيدة الأمد. وكالقوة الكونية الواحدة الصامتة يعمل باباجي في خفاء متواضع.

الأنبياء العظام يأتون إلى هذه الأرض لغرض محدد، مثير ومدهش ويرتحلون فور إنجازه. أما الآخرون أمثال باباجي فيضطلعون بمهام تتصل أكثر ما تتصل بتطور الإنسان البطيء على مر الأجيال وليس بحدث وحيد وبارز في التاريخ. ومثل هؤلاء السادة يحجبون ذاتهم عادة عن أنظار الجمهور الخشنة ويمتلكون القدرة على الاختفاء بالإرادة. ولهذه الأسباب، ولأنهم أيضاً يطلبون من تلاميذهم التزام الصمت حيالهم، فإن فريقاً من تلك الشخصيات الروحية الشامخة يظل مجهولا للعالم. وعلى هذه الصفحات أعطي لمحة بسيطة عن حياة باباجي من خلال إيراد بعض الحقائق عنه، يرى هو أنه من الملائم إعلانها.

لم يتم الكشف بعد عن معلومات محددة تتعلق بأسرة باباجي، ولا عن مسقط رأسه، يرتاح لها قلب المؤرخ. وكلامه بالهندية غالبا، لكنه يستطيع التحدث وبسهولة وطلاقة في أية لغة من لغات العالم. وقد اتخذ لنفسه الاسم البسيط باباجي (الأب المحترم). وهناك ألقاب أخرى جليلة خلعها عليه تلاميذ لاهيري مهاسيا... مثل ماهاموني باباجي مهراج أي السيد الأسمى المليء بالغبطة الكونية، وماها يوغي أي اليوغي الأعظم.

وجدير بالذكر أن باباجي هو لقب شائع في الهند، وهناك العديد من المعلمين الهنود المشهورين ممن يخاطبون بـ (باباجي)، ولكن ما من أحد منهم هو نفس باباجي معلم لاهيري مهاسيا. إن وجود المهافاتار (التجسد الأعظم) باباجي تم الإعلان عنه لأول مرة سنة ١٩٤٦ في هذه السيرة الذاتية.

وليس مهماً أن نجهل سلالة سيد بلغ التحرر الكلي. وقد قال لاهيري مهاسيا في حديثه عن باباجي: **"عندما ينطق شخص ما اسم باباجي بتعظيم وإجلال واحترام فإن ذلك المتعبد يحصل على بركة روحية فورية."**

ولا تظهر على جسد المعلم الخالد آثار السنين. فهو يبدو شاباً لا يتجاوز الخامسة والعشرين، أبيض البشرة، معتدل البنية، متوسط الطول، يشع جسمه القوي الجميل وهجاً ملحوظاً. عيناه داكنتان، هادئتان ورقيقتان، وشعره النحاسي اللون مسترسل على كتفيه ولامع. ووجه باباجي يشبه إلى حد كبير وجه تلميذه لاهيري مهاسيا، والتماثل بينهما لافت للنظر لدرجة أن لاهيري مهاسيا في سنيه الأخيرة كان يمكن أن يُحسب أباً لباباجي الذي يبدو في ريعان الشباب.

ولقد أمضى أستاذي في السنسكريتية سوامي كيبالانندا بعض الوقت مع باباجي في جبال الهملايا، وقال لي:

"إن السيد المنقطع النظير ينتقل مع جماعته من مكان إلى آخر في الجبال... وبعد أن يصرف باباجي بعض الوقت في مكان ما يقول: "ديرا دَندا أوتاو" (فلنرفع خيامنا

وعصينا: هيا بنا نرتحل). وهو يحمل عصا رمزية من الخيزران. وكلماته تلك هي علامة الانتقال الفوري إلى مكان آخر. إنه لا يستعمل دوما طريقة الانتقال الأثيري هذه، بل أحياناً ينتقل مشياً على الأقدام من قمة جبلية إلى أخرى.

"لا يستطيع الآخرون مشاهدة باباجي إلا إذا هو أراد ذلك. والمعلوم أنه ظهر في أشكال متباينة بعض الشيء لعديد من المريدين – أحياناً بشارب ولحية وأحياناً بدونهما. وجسمه غير الخاضع للتحلل والفناء لا يحتاج إلى طعام من أجل ديمومته، ولذا فنادراً ما يتناول المعلم الطعام. ولكن في بعض المناسبات، وكمجاملة اجتماعية للطلاب الزائرين فانه يتقبل أحياناً الفواكه أو الأرز المطبوخ بالحليب والزبدة المصفاة.

واستطرد كيبالانندا قائلا: "إنني على علم بحادثتين مثيرتين في حياة باباجي: ففي ذات ليلة كان يجلس تلاميذه حول نار ضخمة تضطرم احتفالا بطقس فيدي، وفجأة أمسك المعلم بقطعة من الحطب المشتعل ولامس بها كتف أحد التلاميذ القريبين من النار. فاحتج لاهيري مهاسيا، الذي كان من بين الحاضرين، قائلا: 'سيدي، ما أقسى ذلك!'

"فأجابه باباجي: 'أ تودُ بالأحرى أن ترى جسمه كله يحترق أمام عينيك، جزاءً لأفعاله السابقة؟' وبهذه الكلمات وضع باباجي يده الشافية فوق كتف التلميذ المشوهة بفعل الاحتراق وقال: 'لقد جنبتك الليلة الموت المريع، وقد رضي القانون الكارمي باحتراقك الجزئي بالنار.'

"وفي مناسبة أخرى سبّب القدوم المفاجئ لشخص غريب انزعاجا لحلقة باباجي المقدسة. وكان قد تسلق الجبال بمهارة مدهشة حتى بلغ سلسلة الصخور المنيعة المتاخمة لمكان وجود المعلم. وقد شع وجه الرجل بخشوع وتبجيل يستحيل وصفهما عندما قال: 'سيدي، لا بد أنك باباجي العظيم. فعلى مدى شهور قمت ببحث متواصل عنك بين هذه الصخور الشامخة. أتوسل إليك أن تقبلني تلميذاً لك.'

"ولما لم يجبه المعلم، أشار الرجل إلى الهوة السحيقة الممتدة تحت الصخور وقال: 'إن رفضتني رميت بنفسي من فوق هذا الجبل، فالحياة لم يعد لها قيمة بالنسبة لي إن لم أحصل على إرشادك في العثور على الله.'

"وأجابه باباجي دون انفعال: 'ألقِ بنفسك إذاً. فأنا لست مستعداً أن أقبلك في تطورك الحالي.'

"وعلى الفور قذف الرجل بنفسه من فوق الجرف. حينذاك طلب باباجي من التلاميذ الجزعين أن يذهبوا ويأتوا بجسم ذلك الغريب. وحينما عادوا به ممزقاً لمس المعلمُ الجسد الميت بيده الطاهرة فعادت إليه الحياة وفتح عينيه وانبطح بخشوع أمام المعلم الكلي الاقتدار. عندها أشرق باباجي عطفاً على تلميذه الذي بعثه من الموت وقال له: 'لقد اجتزت بشجاعة امتحاناً عسيراً وأصبحت الآن مؤهلا للتدريب ولن يمسك الموت بعد اليوم. ثم أعقب ذلك بكلماته الخاصة بالرحيل "ديرا دَنَدا أوتاو"، فاختفت الجماعة من الجبل.

الامتحان هنا يتعلق بالطاعة. فعندما قال المعلم المتنور للرجل (الق بنفسك) أطاع الرجل على الفور، ولو أبدى تردداً لكان ذلك برهانا على عدم صحة قوله بأن حياته لا قيمة لها بدون توجيه وإرشاد باباجي. ومع أن ذلك الامتحان كان عنيفاً قاسياً وغريباً لكنه كان في نفس الوقت درساً رائعاً ومناسباً لذلك الحدث.

التجسد الإلهي (الأفاتار) يعيش في الروح الكلي ولا توجد مسافات بالنسبة له. وهناك سبب واحد فقط يدفع باباجي للاحتفاظ بهيكله الجسدي قرناً بعد قرن، وهو الرغبة في تزويد البشرية بمثل ملموس من إمكانياتها. فلو لم يُمنح الإنسان لمحة من الإلوهية في الجسم البشري لظل فريسة للوهم الثقيل، غير قادر على قهر الفناء.

وبالنسبة لباباجي لا توجد نسبيات للماضي أو الحاضر أو المستقبل. فمنذ البداية عرف سائر مراحل وأطوار حياته. وبتكييف ذاته مع البشرية المحدودة لعب أدوارا عديدة من حياته المقدسة على مرأى واحد أو أكثر من الشهود. وقد حدَث أن أحد تلاميذ لاهيري مهاسيا كان حاضراً عندما رأى باباجي أن الوقت قد حان للإعلان عن إمكانية ديمومة الجسد وعدم فنائه. فهو قد نطق بهذا الوعد أمام أحد المعلمين الصادقين حتى ينتشر الخبر لإلهام القلوب الأخرى الباحثة عن الحقيقة.

وإبان زيارتي للقديس الذي لا ينام رام غوبال أخبرني ببعض التفاصيل عن لقائه الأول العجيب مع باباجي قال:

"في أحد الأيام تركت مغارتي المنعزلة لأجلس عند قدمي لاهيري مهاسيا في بنارس. وعند منتصف إحدى الليالي بينما كنت أتأمل في سكون مع جماعة من تلاميذه فاجأني المعلم بطلب مفاجئ عندما قال: 'أي رام غوبال، اذهب إلى منطقة داسا سمد غات (على ضفة الغانج)'.

"انطلقت على الفور إلى البقعة المنعزلة، وكان الليل يضيئه نور القمر والنجوم الوامضة. وبعد أن جلست لبعض الوقت بسكينة وهدوء استرعت انتباهي بلاطة حجرية ضخمة قرب قدمي، ارتفعت تدريجيا مظهرة مغارة في جوف الأرض. وبينما ظلت البلاطة معلقة في مكانها بكيفية غير مفهومة انطلق من الكهف وحلق في الهواء شكل امرأة شابة فائقة الجمال، تحيط بها هالة من النور الناعم. ثم هبطت أمامي وبقيت دون حراك مستغرقة في نشوة روحية فائقة. أخيراً تحركت ونطقت بلطف: 'إنني ماتاجي شقيقة باباجي، وقد طلبت منه ومن لاهيري مهاسيا الحضور لمغارتي هذه الليلة لمناقشة أمر بالغ الأهمية'.

"وعلى الفور بدا في الأفق نور سديمي يطير مسرعا فوق نهر الغانج فانعكس التألق الغريب في المياه القاتمة. واقترب النور مني أكثر فأكثر، وبومضة خاطفة استقر قرب ماتاجي وكثف ذاته فوراً بالصورة البشرية للاهيري مهاسيا، وانحنى بتواضع أمام القديسة.

"وقبل أن استفيق من دهشتي ذهلت مرة أخرى لرؤية كتلة دوارة من الضوء الغامض تنهب الفضاء بسرعة فائقة. وما أن اقتربت من مجموعتنا حتى تمثلت في جسم شاب

وسيم أدركتُ على الفور أنه باباجي. وقد بدا شبيها بلاهيري مهاسيا مع فارق واحد هو أن باباجي ظهر أصغر بكثير من تلميذه، وبشعر لامع مسترسل.

"ركعت مع لاهيري مهاسيا وماتاجي عند قدمي المرشد الأعظم، ولمجرد لمس جسمه الإلهي غمرني إحساس أثيري مجيد وسرى في كل خلية من خلايا جسمي.

"ونطق باباجي قائلا: 'يا أختي المباركة، إنني أرغب في طرح شكلي المادي والغوص في التيار اللامتناهي'.

"ونظرت إليه السيدة الجليلة بتوسل قائلة: 'لقد أدركتُ فعلا ما تنوي القيام به أيها السيد المحبوب، ولذا رغبت ببحث الموضوع معك هذه الليلة. فبالله عليك لماذا تنوي ترك جسدك؟'

"أجاب باباجي: 'وما الفرق في كوني محاطاً بموجة منظورة أو غير منظورة فوق محيط روحي الكلي؟'

" فقالت ماتاجي بومضة طريفة من الذكاء: 'أيها السيد الخالد، إن كان ذلك غير مهم فأرجو أن لا تتخلى عن صورتك أبد الدهر'.

وجاء جواب باباجي جاداً: 'ليكن ما تريدين. فأنا لن أترك مطلقاً جسمي المادي، بل سأظل مرئيا على الأقل لنفر ضئيل من الناس على هذه الأرض. إن الله قد أعرب عن إرادته من خلالك ونطق بلسانك'.

"وإذ أصغيت برهبة وخشوع لحديث هذين الكائنين الممجدين التفت المعلم الأعظم (باباجي) إليّ قائلا: 'لا تخف يا رام غوبال. لقد بوركتَ بأن تكون حاضراً وشاهداً على هذا الوعد الأبدي!'

"وما أن تلاشت النغمة العذبة لصوت باباجي حتى ارتفع شكله ببطء مع شكل لاهيري مهاسيا وقفلا راجعين فوق الغانج يحيط بجسميهما إكليل ذهبي من النور الوهاج، وتواريا عن الأنظار في سماء الليل. أما شكل ماتاجي فقد تهادى نحو المغارة وهبط إليها، وعادت البلاطة الحجرية إلى مكانها فوق الكهف من تلقاء ذاتها، كما لو أن أيديَ غير منظورة كانت تحركها.

"وإذ حصلت على أقصى درجات الإلهام قصدت ثانية منزل لاهيري مهاسيا. وحينما انحنيت أمامه في ساعات الفجر الباكرة تبسم لي المعلم بفهم قائلا: 'إنني سعيد من أجلك يا رام غوبال. فرغبتك في لقاء باباجي وماتاجي التي كثيراً ما أعربت عنها قد تحققت تحققاً مجيداً في النهاية!'

"وقد تعجبت عندما أخبرني إخواني التلاميذ الآخرون أن لاهيري مهاسيا لم يترك مكانه إطلاقاً منذ مساء أمس، وقال لي أحدهم: 'لقد ألقى علينا محاضرة مدهشة عن الخلود فور مغادرتك منزله إلى حمامات داسا سمد'.

"وللمرة الأولى في حياتي أدركت تماماً صدق الآيات الكتابية التي تقول أن العارف بالله يمكنه الظهور في أكثر من مكان، في جسمين أو أكثر، في نفس الوقت.

"بعد ذلك قام لاهيري مهاسيا بإيضاح العديد من النقاط الغامضة المتعلقة بالتدبير الإلهي السري لهذه الأرض. واختتم رام غوبال حديثه بالقول:

"لقد اختار الله باباجي كي يحتفظ بجسمه إبان الدورة الأرضية الحالية. وستتوالى العصور والدهور وتأتي الأجيال وتذهب بينما المعلم الخالد يرقب قرناً بعد قرن الأحداث الدراماتيكية على هذا المسرح الأرضي."

ملاحظة: ماتاجي تعني (الأم المقدسة). ولقد عاشت ماتاجي لقرون عديدة، وتكاد توازي شقيقها باباجي في التقدم الروحي. وتظل في نشوة روحية متواصلة بمغارة أرضية قرب داسا سامد غات.

إن طبيعة الإنسان الجوهرية هي الروح الكلي الحضور الذي لا شكل له. والتجسد الإلزامي هو ثمرة الجهل. وتعلّم كتب الهند المقدسة أن الموت كالولادة نتاج الخداع الكوني، ووجودهما متصل بعالم النسبية فقط.

ولا يرتبط باباجي بجسم مادي، ولا بهذا الكوكب الأرضي لكنه طبقاً للإرادة الإلهية يقوم برسالة خاصة لهذه الأرض.

في إحدى ليالي الصيف الهادئة في صومعة سيرامبور سألت معلمي السؤال التالي:

"سيدي، هل قابلت باباجي في حياتك؟"

وكانت النجوم الكبيرة للمناطق الاستوائية تومض فوق رؤوسنا وأنا أجلس بجوار سري يوكتسوار في شرفة الطابق الثاني للصومعة.

ابتسم المعلم لسؤالي المباشر وقد أشرقت عيناه بنور التعظيم والإجلال وقال:

"نعم، لقد بوركت ثلاث مرات برؤية المعلم الخالد. وقد حدث لقاؤنا الأول في مدينة الله أباد إبان احتفالات كومبها ميلا الكبيرة المشهورة."

الاحتفالات الدينية التي تقام في الهند منذ زمن بعيد تعرف باسم كومبها ميلا وقد ساعدت هذه الفعاليات الدينية على ترسيخ المثل والأهداف الروحية وإبقائها ماثلة على الدوام في أذهان الجماهير. فالمتعبدون الهنود يحتشدون بالملايين كل اثنتي عشرة سنة لمقابلة السادهويين واليوغيين والسواميين والنساك والزاهدين المتقشفين من كل الأطياف والأصناف. وكثير من المنقطعين للعبادة الذين نادراً ما يتركون عزلتهم يحضرون تلك المواسم لمنح بركاتهم لأهل العالم من رجال ونساء.

واستطرد سري يوكتسوار قائلا: "لم أكن سواميا عندما التقيت بباجي مع أنني كنت قد حصلت فعلا على تكريس الكريا من لاهيري مهاسيا الذي شجعني على حضور الأعياد في يناير/كانون ثاني من عام ١٨٩٤ في مدينة الله أباد. وكانت تلك هي المرة الأولى التي أحضر فيها تلك الاحتفالات فأصبت بالذهول لصخب وضجيج الجموع الحاشدة المندفعة. ونظرت حولي على أمل رؤية وجه لمعلم مستنير لكن دون جدوى. وما أن اجتزت أحد جسور نهر الغانج حتى رأيت واحداً من معارفي واقفاً وهو يمد يده للتسول، فخاب ظني وقلت في نفسي: "إن هذه الاحتفالات هي خليط متنافر من الفوضى والمتسولين، وهل يعقل أن لا يكون علماء الغرب – الذين يعملون بصبر واجتهاد لتوسيع دائرة العلم لصالح البشرية – أكثر قبولا في نظر الله من هؤلاء المتسكعين الذين يتظاهرون بالتقوى وقلوبهم متلهفة للحصول على الصدقات؟"

"وقُطعت أفكاري الخفية تلك عندما اقترب مني ناسك ووقف أمامي قائلا: 'سيدي، إن قديساً يناديك.'

"سألته: 'ومن هو؟'

"فأجاب: 'تعال وشاهده بنفسك.'

"وبتردد عملت بنصيحته المقتضبة. وبعد قليل وجدت نفسي أمام شجرة تظلل أغصانها معلماً مع مجموعة جذابة من التلاميذ. وكان المعلم مشرق الطلعة بشكل غير اعتيادي، ذا عينين داكنتين، وقد هب واقفاً لدى اقترابي منه وعانقني بلطف قائلا: 'أهلاً بحضرة السوامي!'

"فأجبته بكل تأكيد: 'سيدي، أنا لست سوامياً.'

"فخاطبني القديس بكلمات بسيطة ترن فيها نغمة اليقين: 'إن الذين أطلق عليهم لقب سوامي بتوجيه إلهي، لا يخلعون ذلك اللقب أبداً'

"وغمرتني موجة فورية من البركة الروحية. وإذ ابتسمت لصعودي الفجائي إلى النظام النسكي القديم انحنيت عند قدمي ذلك الكائن الملائكي الجليل الذي بدا بصورة بشرية ومنحني هذا الشرف.

"وأومأ إلي باباجي – إذ بالفعل كان هو ذاته – كي أجلس بجانبه تحت الشجرة. وكان قوي البنية، فتياً، يشبه لاهيري مهاسايا. وهذا التماثل العجيب لم يخطر ببالي (أثناء لقائي معه) مع أنني سمعت مرات عديدة عن الشبه القوي بين مظهري هذين المعلمين. **فباباجي يملك قوة يستطيع بواسطتها منع أية فكرة من أن تتولد في عقل إنسان.** ومن الواضح أن المعلم العظيم أرادني أن أكون طبيعياً في حضرته، وأن لا أصاب بالرهبة جراء معرفتي لهويته.

"وسألني باباجي: 'ما رأيك في احتفالات الكومبها ميلا هذه؟'

"فأجبته: ' لقد خاب أملي فيها يا سيدي'. ثم أضفت مستدركاً على الفور: 'لغاية اللحظة التي قابلتك فيها. فعلى ما يبدو أن القديسين لا علاقة لهم بهذا الهرج والمرج.'

"فقال المعلم: "يا بني (مع أنني كنت أكبر منه بمرتين)، لا تدن الجميع بسبب أخطاء الكثيرين. فكل ما في هذا العالم ذو طبائع مختلطة اختلاط حبات الرمل بحبات السكر. كن أنت كالنملة الحكيمة التي تختار السكر وتترك الرمل جانباً. ومع أن العديد من السادهويين ما زالوا يعيشون في دنيا الوهم، غير أن الاحتفالات قد تباركت ببعض رجال الله العارفين.'

"وافقت فوراً على قول هذا المعلم الجليل، وعلقت بالقول:

" 'سيدي، كنت أفكر بمشاهير علماء الغرب الذين يفوقون ذكاءً معظم المحتشدين هنا. فهؤلاء العلماء الذين يعيشون في أوروبا وأمريكا النائيتين يعتنقون عقائد ومبادئ مختلفة ويجهلون القيمة الفعلية لمثل هذه الأعياد. هؤلاء الغربيون يمكنهم الاستفادة كثيراً من ملاقاة معلمي الهند. ومع أنهم بلغوا ذروة التحصيلات العقلية لكن الكثير منهم يدينون

بمذاهب مادية. والعديد من هؤلاء العلماء والفلاسفة لا يعترفون بوحدة الأديان، ولذلك فإن عقائدهم هي بمثابة حواجز منيعة يصعب تخطيها، وتهدد بانفصالهم عنا على الدوام.'

" 'وأشرق وجه باباجي استحساناً وقال: 'أرى أنك تهتم بالغرب اهتمامك بالشرق. لقد أحسست بغصات قلبك الذي يتسع لكل البشر، ولهذا السبب بالذات استقدمتك إلى هنا.

" 'الشرق والغرب ينبغي أن يرسما طريقاً ذهبياً وسطاً بين الفاعلية المادية والروحية. فالهند بحاجة لأن تنقل عن الغرب الكثير من ضروب التقدم المادي، وفي المقابل يمكنها تلقين الغرب الأساليب العالمية التي تمكّنه من تأسيس معتقداته الدينية على الأسس الراسخة لعلم اليوغا.

" 'فأمامك يا حضرة السوامي دور ستلعبه في التبادل التوافقي المرتقب بين الشرق والغرب. بعد بضع سنوات من الآن سأبعث إليك بتلميذ تعدّه لنشر اليوغا في الغرب. فالتضرعات الصادرة عن الباحثين روحياً تأتيني كالسيل العارم. إنني أدرك قديسين كامنين في أوروبا وأمريكا بانتظار اليقظة الروحية.'

عند هذه النقطة من قصته نظر سري يوكتسوار في عينيّ وقال وهو يبتسم في ضوء القمر: "يا بني، أنت هو التلميذ الذي وعد باباجي منذ سنين بإرساله إليّ."

سعدت لأن أعلم أن باباجي هو الذي وجّه خطواتي إلى سري يوكتسوار، مع أنه كان من الصعب عليّ أن أتصور نفسي في الغرب النائي، أعيش بعيداً عن معلمي الحبيب وعن سلام الصومعة البسيط.

واستطرد سري يوكتسوار قائلاً: "تحدث بعد ذلك باباجي عن البهاغافاد غيتا، وقد دهشت من خلال بعض عبارات الاستحسان أنه كان على دراية بتفسيرات وضعتها لبعض الفصول من الغيتا، وقال المعلم العظيم:

" 'يا حضرة السوامي، هل لك أن تقوم بعمل آخر بناء على طلبي فتضع كتاباً موجزاً تبين فيه التوافق المشترك بين الأسفار (الشرقية والغربية)؟ وضّح بأمثلة متطابقة أن أنبياء الله الملهمين قد نطقوا بنفس الحقائق التي طمسها الناس بخلافاتهم العقائدية.'

"وأجبته بحياء: 'يا سيدي العظيم، تلك والله مهمة صعبة! وهل باستطاعتي إنجازها؟'

"ضحك باباجي ضحكة لطيفة وقال بما يوحي بالإطمئنان: 'لماذا تشك يا بني؟ ولأجل من هذا العمل؟ ومن هو العامل الأوحد في هذا الكون؟ إن ما يلهمني الله قوله لا بد أن يتجسد كحقيقة في هذا العالم.'

"أحسست بقوة تغمرني بفعل بركات القديس، فقبلت بأن أضع الكتاب. وإذ شعرت بقرب ساعة الوداع نهضت على مضض من مقعدي المصنوع من ورق الشجر. وسألني المعلم: 'هل تعرف لاهيري؟ يا له من نفس عظيمة، أليس كذلك؟ اخبره عن لقائنا هذا.'

"ثم طلب مني أن أنقل رسالة إلى لاهيري مهاسايا.

"وبعد أن انحنيت أمامه بتواضع وودعته، ابتسم لي القديس برقة ووعدني قائلا: ’حينما تفرغ من وضع كتابك سوف آتي لزيارتك. أما الآن فرافقك السلامة.‘

"غادرت الله أباد متوجها إلى بنارس في اليوم التالي. وما أن وصلت منزل معلمي حتى أخبرته بقصة القديس العجيب الذي لاقيته في احتفالات العيد.

"ورقصت عينا لاهيري مهاسايا بالضحك قائلا: ’ألم تتعرف عليه؟ لم تتمكن من معرفته لأنه منعك من ذلك. إنه معلمي باباجي السماوي الذي لا نظير له!‘

"وتلعثمت من الدهشة وأنا أقول: ’باباجي! باباجي اليوغي العظيم! باباجي التجسد الإلهي! باباجي المخلص المنظور المحتجب! آه، يا ليتني أقدر على استعادة الماضي وأجد نفسي في حضرته ثانية كي أظهر شوقي العظيم وولائي المقيم عند قدميه المباركتين!‘

"فأجابني لاهيري مهاسايا مواسياً: ’لا بأس. فقد وعد بأن يراك ثانية.‘

"وقلت: ’يا سيدي الملائكي، لقد حمّلني المعلم الأقدس رسالة إليك. إذ قال لي: "أخبر لاهيري بأن قواه المختزنة لهذه الحياة هي الآن آخذه في التناقص، وقد أصبحت على وشك النفاد."‘

"وما أن تفوهت بهذه الكلمات الغامضة حتى اكفهر وجه لاهيري مهاسايا كما لو مسّه تيار صاعق. وعلى الفور صار كل ما حوله ساكناً، وقد أصبح محياه الباسم جاداً بكيفية يصعب تصديقها. وشحب جسمه وصار كتمثال خشبي ثابت في مكانه دون حراك. وقد أصبت بالرهبة والحيرة لأنني لم أر أبداً من قبل هذه النفس البشوشة في مثل هذه الصرامة الرهيبة. وراح الأتباع الحاضرون ينظرون إليه بقلق وتوجس.

"وانقضت ثلاث ساعات في صمت على هذا النحو. بعد ذلك استعاد طبيعته المرحة، وتحدث بلطف إلى كل واحد من مريديه فتنفس الحاضرون الصعداء وشعرنا جميعاً بارتياح كبير.

"ومن ردة فعل معلمي أدركت أن رسالة باباجي كانت إشارة واضحة له بأنه عما قريب سيفارق الجسد. أما صمته العجيب فقد كان دليلا على أنه استطاع التحكم الفوري بكيانه وبأنه بتر الحبل الأخير الذي كان يربطه بهذا العالم المادي منطلقاً إلى ذاته الأبدية في الروح الإلهي. وكانت ملاحظة باباجي طريقته في القول له: ’سأكون معك دائماً وأبداً.‘

"ومع أن باباجي ولاهيري مهاسايا كانا عليمين بكل شيء ولا حاجة لهما للتواصل مع بعضهما سواء عن طريقي أو من خلال وسيلة أخرى، غير أن السادة العظام غالباً ما يتنازلون للعب دور ما في الحياة البشرية. وأحياناً ينقلون نبوءاتهم عن طريق رسل آخرين بكيفية عادية، حتى يوقظ تحقيق كلماتهم إيماناً مقدساً في مجموعات أكبر من الذين يعرفون القصة فيما بعد."

وواصل سري يوكتسوار حديثه: "غادرت بنارس حالاً وعكفت في سيرامبور على الكتب المقدسة تحقيقاً لطلب باباجي. وما أن شرعت بعملي حتى شعرت بالإلهام فنظمت قصيدة مهداة إلى المعلم الخالد باباجي. وكانت السطور الرخيمة تنساب من قلمي بغير مجهود، مع أنني لم أحاول من قبل نظم الشعر باللغة السنسكريتية!

"وفي سكينة الليل انهمكت بعقد مقارنات بين الكتب المقدسة.. وبنعمة معلم معلمي(باباجي) فقد أكملت كتابي (العلم المقدس) في فترة وجيزة.

"وفي الصباح التالي لإتمامي مجهودي الأدبي توجهت إلى الراي غات للاغتسال في مياه الغانج. وقد كان المكان خالياً من الناس فوقفت لبعض الوقت بهدوء مستمتعاً بالسلام في أشعة الشمس. وبعد غطسة في المياه المشعشعة قفلت راجعاً إلى منزلي. وكان الصوت الوحيد الذي يتخلل السكون هو حفيف ملابسي المبللة بالماء عند كل خطوة من خطواتي. وما أن اجتزت شجرة التين (البانيان) الكبيرة على شاطئ النهر حتى شعرت بدافع قوي كي أنظر إلى الخلف. وهناك تحت ظلال شجرة التين رأيت باباجي العظيم جالساً وحوله رهط من مريديه!

"ورن صوت المعلم الرخيم مؤكداً لي أنني لست في حلم: 'مرحباً بحضرة السوامي! أرى أنك أنجزت كتابك بنجاح، وكما وعدتك فقد جئت لأشكرك.'

"وبقلب شديد الخفقان انبطحت على وجهي عند قدميه وقلت متضرعاً: 'سيدي الجليل، هل لي أن أطمع في أن تشرفني وتلاميذك بالحضور إلى منزلي القريب من هنا؟'

"لكن السيد الأعظم اعتذر عن القبول وقال وهو يبتسم: 'لا يا بني. فنحن جماعة نحب ظل الشجر، وهذه البقعة مريحة تماماً لنا.'

"وتطلعت إليه متوسلا:

'إذاً أرجوك أن تنتظر قليلاً يا سيدي إلى أن أعود ببعض الحلوى الخاصة.'

"عدت بعد دقائق أحمل صينية من الحلوى لكنني ماذا وجدت؟ وجدت شجرة التين الوارفة لكنها لم تعد تظلل الكوكبة الملائكية. وعبثاً فتشت عنهم، لكن في قرارة نفسي كنت أعلم أن المجموعة الصغيرة قد انطلقت على أجنحة الأثير.

"تألمت في ذاتي وقلت بيني وبين نفسي: 'لن أهتم بالتحدث إلى باباجي حتى ولو التقينا ثانية. فلقد كان قاسيا لأن يتركني فجأة بهذه الكيفية.' وبالطبع تلك كانت غضبة حب ليس أكثر!

"بعد بضعة شهور زرت لاهيري مهاسيا في بنارس، وما أن دخلت حجرته الصغيرة حتى تبسم معلمي مرحباً بي وقال:

" 'أهلا بيوكتسوار. هل قابلت باباجي عند عتبة غرفتي؟'

"فأجبته مندهشاً: 'لا. لم أقابله.'

"فقال: 'تعال، اقترب مني.' ولمس لاهيري مهاسيا جبهتي بلطف فأبصرت على الفور باباجي قرب الباب متورداً كزهرة اللوتس في كامل تفتحها. عندها تذكرت جرحي الماضي ولم أنحن تحية له. فنظر إليّ لاهيري مهاسايا بدهشة."

"ورمقني المعلم الأقدس باباجي بنظرة عميقة قائلا: 'لا بد أنك غاضب مني.'

"فأجبته: 'ولمَ لا يا سيدي؟ فأنت من الهواء أتيت مع جوقتك السحرية، ثم اختفيتم فجأة في طيات الهواء الرقيقة!'

"وضحك باباجي برقة وقال: 'صحيح أنني وعدت بأن أراك لكنني لم أحدد الفترة التي سأقضيها معك. لقد كنتَ مليئاً بالإثارة والاندهاش، وباستطاعتي أن أؤكد لك بأنني تلاشيت في الأثير بفعل الهبة الفجائية لريح اضطرابك.'

"وقنعت على الفور بهذا التفسير المنطقي السديد وركعت عند قدميه. فربت المعلم الجليل على كتفي قائلا: 'يا بني، يجب أن تتأمل أكثر. فنظرتك ما زالت تحمل العتب. إنك لا تستطيع رؤيتي محتجباً خلف نور الشمس!'

"وبهذه الكلمات، وبصوت كالناي السماوي تلاشى باباجي في البهاء المحتجب."

وختم سري يوكتسوار حديثه بالقول:

"تلك كانت واحدة من زياراتي الأخيرة إلى بنارس لرؤية معلمي. ومثلما تنبأ باباجي في الاحتفال فإن تجسد رب الأسرة – لاهيري مهاسايا – كان يقترب من النهاية. ففي صيف عام ١٨٩٥ نمت فوق ظهره بثرة صغيرة أبى أن يتم استئصالها جراحياً لأنه كان يستهلك في جسده نتائج الأفعال الشريرة لبعض مريديه. ولما ألح تلاميذه عليه خاطبهم المعلم بعبارة غامضة قائلا: 'لا بد للجسم من أن يجد وسيلة للانطلاق. سأوافق على ما ترغبون فعله.'

"وبعد مدة وجيزة غادر المعلم الفائق جسده في بنارس، ولم يبق بعد ذلك ما يدعوني للسعي إليه في غرفته الصغيرة. فإنني أجد أن كل يوم من أيام حياتي مليء ببركات وإرشاد المعلم الكلي الحضور."

وبعد سنوات سمعت مباشرة من سوامي كيشاباننداً – وهو تلميذ متقدم للمعلم لاهيري – تفاصيل عجيبة عن انتقال لاهيري مهاسايا إلى الرفيق الأعلى، قال:

"قبل أن يفارق معلمي جسده بأيام قليلة تجسّد أمامي وأنا أجلس للتأمل في صومعتي في هردوار، وخاطبني قائلا: 'تعالَ فوراً إلى بنارس!' ثم اختفى.

"سافرت للتو إلى بنارس فوجدت جمعاً حاشداً من التلاميذ. ولعدة ساعات من ذلك اليوم فسّر المعلم الغيتا ثم خاطبنا ببساطة قائلا: 'إنني عائد إلى المقر السماوي.'

"وانطلقت تنهداتنا وزفرات حسرتنا كسيل جارف. فقال: 'تعزّوا ولا تحزنوا. فأنا سأقوم ثانية'. وما أن تفوه بهذه الكلمات حتى لفّ لاهيري مهاسيا جسمه ثلاث مرات في حركة دائرية، واتجه نحو الشمال في وضع اللوتس، ثم استغرق بهيبة وجلال في حالة الخروج الواعي الطوباوي من الجسد.

وواصل كيشانندا قصته قائلا: في الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي لوفاته، عندما كنت لا أزال في بنارس، غمر حجرتي نور وهاج ووقف لاهيري مهاسايا أمامي بلحمه ودمه. وقد ظهر كما كان من قبل مع فارق واحد هو أنه بدا أصغر سناً وأكثر حيوية وتألقاً، ثم تحدث معي قائلا: 'ها أنا بذاتي يا كيشاباننداً. فمن ذرات جسمي (القديم) صغت جسماً جديداً. إن دوري كرب أسرة قد انقضى، لكنني لن أترك العالم كلية. سوف أقضي بعض الوقت في صحبة باباجي في الهملايا، ومع باباجي في رحاب الكون.'

"وببضع كلمات من البركة اختفى المعلم الفائق وقد امتلأ قلبي بإلهام عجيب وشعرت بسمو روحي فائق تماماً كما أحس تلاميذ السيد المسيح والمعلم كبير عندما أبصروا معلمهم الحي بعد الموت المادي.

"ولدى عودتي إلى صومعتي المنعزلة في هردوار أخذت معي حفنة من الرماد المقدس لجسم معلمي، وقد أدركت أنه قد تحرر من سجن المكان والزمان. فالطائر الكلي الحضور انطلق في فضاء الروح. وقد تعزى قلبي لدفن رفاته المقدسة."

وهناك تلميذ آخر اغتبط برؤية معلمه (لاهيري مهاسيا) بعد قيامه من الموت وهو السيد بانشانون، وكنت قد زرته في مسكنه في كلكتا وأصغيت بفرح عظيم لحكاية السنوات الطويلة التي أمضاها مع المعلم. وأخيراً سرد لي أغرب ما حدث له في حياته مع المعلم، قال:

"كنت هنا في كلكتا في الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي لحرق الجثمان حينما ظهر لي لاهيري مهاسايا في جلال حي."

كذلك قصّ لي سوامي براناباننda (القديس ذو الجسدين) تفاصيل اختباراته الفائقة أثناء زيارته لمدرسة رانشي، قال:

"قبل أن يفارق لاهيري مهاسايا جسده ببضعة أيام طلب مني في رسالة مستعجلة كي أحضر فوراً إلى بنارس، لكن ظروفاً حالت دون ذلك فلم أتمكن من السفر بالسرعة المطلوبة.

"وعندما كنت أقوم بالترتيبات اللازمة للسفر، حوالي العاشرة صباحاً غمرني فرح مفاجئ لرؤية الشكل اللامع لمعلمي، وقد خاطبني باسماً:

" 'لماذا تهرع إلى بنارس؟ إنك لن تجدني هناك بعد الآن!'

"وما أن وعيت فحوى عبارته حتى رحت أنتحب بقلب منكسر، مفتكراً أنني أبصره في الرؤيا فقط.

"لكن المعلم اقترب مني مواسياً وهو يقول: 'إلمس جسمي، فأنا ما زلت حياً مثلما كنت على الدوام. لا تحزن. ألست معك إلى الأبد؟'"

فمن شفاه هؤلاء التلاميذ الثلاثة العظام بزغت قصة صادقة وعجيبة! إذ في الساعة العاشرة من الصباح التالي لإلقاء جثمان لاهيري مهاسايا في النيران ظهر المعلم الذي قام من الموت متجليا في جسم حقيقي أمام ثلاثة من التلاميذ، كل واحد منهم في مدينة نائية!

"ومتى لبس هذا...ما لا يموت، ولبس هذا الفاني ما لا يفنى، تمّ قول الكتاب: 'الموت ابتلعه النصر'. فأين نصرك يا موت؟ وأين غلبتك يا هاوية؟"

أما لقاء المعلم برمهنسا يوغانندا بالمتوحد الأعظم باباجي فنلخصه هنا كما يلي:

"ذات صباح (من سنة ١٩٢٠) رحت أصلي بعزم لا يلين وقد نويت مواصلة الصلاة حتى لو قدر لي أن أموت مبتهلا لسماع الصوت الإلهي. لقد كنت في حاجة ملحة إلى بركة الله والتيقن منه مباشرة من أنني لن أفقد ذاتي في ضباب الغرب الكثيف للمصالح والمنافع المادية. لقد

كان قلبي مستعداً للسفر، لكنه كان أكثر رغبة وتصميماً على الإحساس بالعزاء الباطني من خلال سماع الإذن الإلهي مباشرة.

تضرعت وأنا أكتم تأوهاتي العميقة ولكن من دون جواب. وارتفع إلحاحي الصامت بنغمة مبرّحة بلغت ذروتها عند الظهيرة. ولم يعد دماغي قادراً على الصمود أمام آلامي الضاغطة، وشعرت أنه سينفجر فيما لو صرخت بصمت مرة أخرى بقوة أكبر. وفي تلك اللحظة سمعت طرقاً على باب البيت، وإذ طلبت من الطارق الدخول فقد أبصرت شاباً في لباس ناسك بسيط.

وفكرت في حيرة وذهول "لا بد أن يكون باباجي." لأن ملامحه كانت تشبه إلى حد كبير ملامح شخص أصغر سناً من لاهيري مهاسايا. فأجاب على أفكاري بصوت رخيم بالهندية قائلا: "نعم أنا باباجي. لقد سمع الله دعاءك وأمرني أن أخبرك بأن تعمل بطلب معلمك. لا تخف فإن العناية الإلهية ستواكبك وتحميك."

وبعد برهة من السكون النابض خاطبني باباجي ثانية: "أنت هو الشخص الذي اخترته لنشر رسالة الكريا يوغا... فمنذ زمن بعيد قابلت معلمك يوكتسوار في أحد الاحتفالات الدينية وأخبرته بأنني سأرسلك إليه قصد التدريب."

لم أنطق بكلمة واحدة وطغى عليّ إحساس من الرهبة الروحية لحضوره، وتأثرت للغاية لأن أسمع من شفتيه مباشرة أنه هو الذي أرسلني إلى سري يوكتسوار، فارتميت عند قدمي المعلم الخالد فرفعني من الأرض برقة وحنان. وبعد أن أخبرني بعدة أمور تتعلق بحياتي الخاصة أعطاني بعض التعليمات الشخصية ونطق بنبوءات غامضة، ثم ختم حديثه بتأكيد قاطع:

"إن الكريا يوغا – الطريقة العلمية لمعرفة الله – سوف تنتشر أخيراً في كل البلدان وتساعد على نشر السلام بين الأمم عن طريق إدراك الإنسان الفائق لله."

وبنظرة تشع مهابة وجلال كهربني المعلم بومضة من وعيه الكوني.

"لو أشرقَ للتوِ نورٌ في السماءْ
من ألفِ شمسٍ ساطعةْ
وغمرَ الأرضَ بفيضٍ من ضياءْ
يعصى على وصف البشرْ
يكونُ محضَ ومضةٍ
من نورهِ لو انتشرْ!"

وبعد لحظات توجّه باباجي نحو الباب وهو يقول: "لا تحاول اللحاق بي لأنك لن تستطيع ذلك."

وصحت مراراً وتكراراً: "باباجي، بالله لا تذهب. خذني معك!" لكنه أجاب: "ليس الآن، إنما في وقت آخر."

وإذ غمرني شعور كاسح من العاطفة فقد تجاهلت تنبيهه. وإذ حاولت اللحاق به أحسست أن قدمي قد التصقتا بالأرض بحيث لم أتمكن من تحريكهما. وقد ألقى باباجي عليّ نظرة حنان ورفع يده مباركاً ثم انطلق وعيناي تنظران إليه في شوق ما بعده شوق.

وبعد بضع دقائق تحررت قدماي فجلست ورحت أتأمل بعمق شاكراً الله شكراً متواصلا من أعماق روحي، ليس فقط لاستجابته لتضرعاتي بل لأنه باركني بلقاء باباجي. وقد أحسست بأن جسمي بكامله قد تقدّس بلمسة المعلم الجليل الدائم الشباب. حقاً لقد كانت رؤيته هي أمنيتي المتقدة منذ أمد بعيد.

ولغاية الآن لم أخبر أي إنسان بقصة لقائي بباباجي، بل احتفظت بها كأقدس اختبارات حياتي، وخبأتها في طيات قلبي. لكن خطر في بالي أن قرّاء هذه السيرة لربما كانوا أكثر استعداداً لتصديق حقيقة المتوحد الأعظم باباجي واهتماماته العالمية إن أنا أكدّت لهم بأنني رأيته فعلا بعيني. وقد ساعدت فناناً على رسم صورة مشابهة تماماً ليوغي الهند الحديثة العظيم باباجي.

المصدر: مذكرات يوغي: السيرة الذاتية

للمعلم برمهنسا يوغانندا

ترجمة حديثة منقحة: محمود عباس مسعود

ملاحظة للمترجم: في الثلاثين سنة الأخيرة ادعى العديد من الهنود أنهم باباجي المذكور في هذا الفصل أو أنهم على اتصال به وبأنه كرّسهم وطلب منهم تكريس وتعليم الآخرين، لكننا نعلم أنهم غير صادقين فيما يدعون وأن ادعاءهم هو محبة في الشهرة ورغبة في استقطاب الأتباع والتأثير عليهم.
وبحسب معرفتنا فإن آخر من قابل باباجي كانت رئيسة جماعة معرفة الذات الأم شري دايا ماتا. حدث ذلك سنة ١٩٦١ بعد مائة عام من مقابلة لاهيري مهاسيا له! وكان ذلك اللقاء (لقاء شري دايا ماتا) هو الأخير معه الذي تم التأكد منه من مصدر موثوق.